المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والستين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٤٤

الحرب الكبرى ومن المسؤل عنها

بحث كثيرون عن المسؤل في اثارة الحرب الكبرى فالّفت في ذلك كتب وكتبت مقالات كثيرة . وقد قرأنا الآن مقالة للجنرال السر ادمند أيرُنسيد جاء فيها على ما دار من المراسلات والاحاديث بين الجنرال مُلتكي الاصغر رئيس اركان حرب المانيا والجنرال كنراد رئيس اركان حرب النمسا والمجر من سنة ١٩٠٧ الى ان نشبت الحرب ويظهر منها جليًّا مَن المسؤل أكثر من غيره

ملتكي شهد حرب المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠—١٨٧١ مع عمهِ ملتكي الاكبر وكنراد حارب البوسنة والهرسك سنة ١٨٧٨ و١٨٨١ . وكلاهما كانا في قيادة المشاة. ولما نشبت الحرب الاخيرة سنة ١٩١٤ كان عمر ملتكي ٦٦ سنة وعمر كنراد ٦٣ سنة وهما من رجال الحرب لا يهمهما امرٌ آخر غيرها

اجتمعا اول مرة سنة ١٩٠٧ واخبر كلٌّ منهما الآخر انهُ اعتذر عن قبول المنصب الذي هو فيهِ سراراً ثم قبلهُ حاسبًا انهُ مما يجب عليهِ . قال ملتكي للامبراطور وعلم لما طلب منهُ ان يتولى رآسة اركان الحرب اتظن يا مولاي انك تستطيع ان تسحب عددين وايجين من صندوق اقتراع واحد ، مشيراً الى فوز عمهِ ملتكي الاكبر الذي كان رئيساً لاركان الحرب . وهنّأ بعضهم كنراد لما جُعل رئيساً لاركان الحرب فقال لهُ كنراد ان مَن يوضع في منصب مثل هذا يهنّأ اولاً ويرثى لهُ النجاح ثم يراقب ثم يُنتقد ويُلعن واخيراً يرشق بالحجارة

وقد بذل هذان الرئيسان جهدهما في هذين المنصبين حتى لا يدعا شبهًا يأول الاّ الى التعاون الواجب بين حكومتيهما

من غير ان يتعرّض لها احد . وبيّن لهُ ان دول اور باً مرتبطة كلها بالمعاهدات او بالتفاهم وقلما يحتمل ان دولة من الدول الكبيرة تجرد الحسام من غير ان يشترك غيرها في الحرب وكل الدول الكبرى تعلم ذلك وهذا الذي يمنع الحرب لانهُ ما من دولة تضرم نارها لاجل السرب

وقد اتفق ملتكي وكنراد على انهُ اذا نشبت حرب كبرى في اور با فيكون ميدانها بين المانيا وفرنسا

يظهر من ذلك ان المانيا والنمسا كانتا تحسبان ان روسيا معادية لهما كانتيهما وان المانيا تخشى شر فرنسا وان النمسا تخشى شر ايطاليا وصربيا . نعم ان ملتكي كان مطمئنًا من جهة ايطاليا ولكن كنراد كان يقول ان المحالفة الثلاثية مثل مائدة قائمة على ثلاث ارجل فاذا اختلعت واحدة منها سقطت المائدة . واخيراً طلب من حكومتهِ ان تجعل خططها الحربية مطابقة لما تقترحهُ المانيا فقبلت بذلك واكتفى بطلب الجيش الشرقي الالماني اي الفرق المقيمة في شرق المانيا حاسبًا انها اذا اشتركت مع الجيش النمسوي احرز النصر على روسيا مع ما هي فيهِ من بطء الزحف الاَّ ان ملتكي اصرَّ على ان الجيش الشرقي لا يتحرك الاَّ حسب دواعي الحال حاسبًا حساب فرنسا

ولحظت سائر الدول ما بين المانيا والنمسا من التعاضد فنشأ التفاهم بين فرنسا وبريطانيا العظمى

وسنة ١٩٠٧ كثر تبادل الرسائل بين كنراد وملتكي ويظهر منها انهما كانا موجسين شرًّا من ان فرنسا وروسيا وبريطانيا اتفقن على الايقاع بالمانيا والنمسا وكان ملتكي يرى امامهُ بارقة امل في الجيش التركي لان ميلهُ مع الالمان وكان يعتقد انهُ قوة كبيرة يحسب حسابها في الحرب . وكنراد يرى ظلامًا قاتمًا فيما هو واقع من الخلاف بين النمسا والمجر وفي اهمال رجال السياسة وعدم التفاتهم الى مقترحاتهِ المتعلقة بالجيش . وشجر الخلاف بينهُ وبين اهرنتل وزير الخارجية النمسوية فان اهرنتل كان يطلب السلم مهما كانت عاقبتهُ وكنراد يحسب الحرب اليوم علاجًا للادواء السياسية وكان من رأيهِ ان لا بدَّ من مناجزة ايطاليا والسرب قبلما تنشب الحرب التي لا بد منها مع روسيا . وقد لخص مايراهُ في الحالة الحاضرة في اواخر سنة ١٩١١ بقولهِ

«ان ايطاليا مشتبكة بالحرب مع تركيا في طرابلس الغرب ولا يظهر ان الفوز حليفها واسطولها مشغول والسرب والبلغار واليونان مهتمة بتنظيم امورها الحربية وعليها ان تحسب

حساب تركيا ورومانيا ولاسيما لان رومانيا لا تزال على صداقة مع المحالفة الثلاثية . والجبل الاسود منفرد لاحساب لهُ وروسيا لا تميل الى اضرام حرب اوربية وهي تشكو من الاضطرابات الداخلية وليست مستعدة للحرب والخلاف قائم بينها وبين انكلترا في ايران . وفرنسا غير راغبة في الحرب في هذه الاحوال وتود ان تنهي مسألة المغرب الاقصى (مراكش) بطريقة حبية ولذلك فحكومة النمسا والمجر في مركز يخولها الاجهاز على احدى خصيمتيها ايطاليا او صربيا »

وزادت لجاجتهُ من هذا القبيل حتى اضطرَّ اهرنتل وزير الخارجية ان يرفع امرهُ الى الامبراطور فاعفي (كنراد) من منصبهِ في ٢ دسمبر سنة ١٩١١

وانحرفت صحة ملتكي في اواخر سنة ١٩١٠ واضطر ان يذهب الى كارلسباد للاستشفاء في اوائل سنة ١٩١١ وقلّت مراسلاتهُ مع كنراد لانشغالهِ بمسألة المغرب الاقصى وانشغال كنراد بالمسائل المذكورة آنفاً وقد لخص ملتكي الموقف الذي كان حينئذٍ بقولهِ

«ان مسألة المغرب الاقصى اللعينة طوقت عنقي كحجر الرحى. قد يجلس الانسان على الجمر ليقال انهُ صبور ولكن لا يضبطهُ احد على ذلك. اذا تملّصنا خلسةً من هذه المشكلة وذبّنا بين ساقينا واذا لم نتدرّع بالحزم وندافع عن موقفنا بالسيف قنطتُ من مستقبل مجيد لالمانيا وتخيت عن منصبي واشير قبلما اتخلى بان نلقي جيشنا ونخلي باليابان وحينئذٍ نجمع المال على هيئتنا ولكننا نحسب في زمرة الخاملين »

ولم يجد الاطباء علة في ملتكي فاطمأن بالهُ وعرَض الجيش سنة ١٩١٢ فاطمئنت الجرائد في مدحهِ وذهب للنزهة في نروج

واعيد كنراد الى رآسة اركان الحرب في ١٢ دسمبر سنة ١٩١٢ يسعى الارشديوق فرنز فرديناند وللحال عاد الى الاهتمام بمسألة ايطاليا فان حربها في طرابلس الغرب اراهُ صيوبا في نظام جيشها فكفَّ عن حسبانها عدوًّا يخشى شرهُ . ولكنهُ كان سيَّ الظن فاعتقد ان العدو اللدود للنمسا هو الصرب وانها لا تنفكُّ عن دس الدسائس لها وكان الواجب ان تؤدَّب سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩٠٩ فلم يبقَ الاَّ ان تؤدب سنة ١٩١٣ والاَّ فاتت الفرصة ولن تعود . وقد يمكن ضمها الى امبراطورية النمسا والمجر بطريقة سلمية . ولابد من هذا الضم صلحًا او حربًا والاَّ صارت مثل روسيا وانشأت امبراطورية سلافية ثانية في الجنوب

ورسائل ملتكي لكنراد سنة ١٩١٣ تدل على انشغال بالهِ فقد قال انهُ اذا كانت النمسا تحتاج الى كل جيشها لصد روسيا فالمانيا تحتاج الى كل جيشها لصد فرنسا بل قد تضطر ان تحضر ما يكون لها من الجنود في الشرق وتأتي بهم الى الغرب لصد فرنسا . ولولا اشتغال بالهِ من جهة النمسا لفعل ذلك حالاً فان الحرب المقبلة حرب حياة او موت وانهُ يجب على كنراد ان يرسخ في اذهان الشعب ان هذه الحرب عادلة لا جور فيها على احد قبلما تخاطر المانيا بجيشها ويجب عليهِ ايضاً ان لا يضرم نار هذه الحرب لاجل كل سبب طفيف في البلقان وختم رسالتهُ بقولهِ

«قد تقرأون سعادتكم تصحيحي هذه بالاستغراب حاسبين انهُ لا يحسن بجندي ان يتراسلا على هذه الصورة . اما انا فلست من رجال السياسة ولكن الصداقة التي بين سعادتكم وبيني تخولني المجاهرة برأيي . فلقد كان رأيي دائماً انه لا بد من حرب اوربية عامة وانها تكون خاصة بين الالمان والسلاف فعلى كاهل الشعوب التي ترفع الراية الالمانية ان تستعد لها »

وسنة ١٩١٣ وفي النصف الاول من سنة ١٩١٤ ورد على كنراد تقارير مسهبة من كل الملحقين العسكريين في سفارات النمسا واكثرها سياسي ولا يظهر منها ان اولئك الملحقين كانوا يدركون حقيقة الاحوال لانهم قلما يعاشرون في المواصم التي هم فيها الاَّ الطبقة العليا من سكانها وهؤلاء لا يعتدُّون بامور الحرب

ثم كتب ملتكي الى كنراد يدعوهُ لحضور عرض الجيش الالماني لان الجنرال بوليو الايطالي وعد بالحضور وهو راغب في الاجتماع بهِ. فسرَّ كنراد بهذه الدعوة ولكن واحداً من الملحقين العسكريين قال لهُ ان المانيا هي التي جعلت الجنرال بوليو يرغب في الاجتماع بك لانها كانت تتودد الى ايطاليا وتضعف من شأن النمسا في المحالفة الثلاثية . فكتب كنراد الى ملتكي يعتذر عن الحضور فاجابهُ ملتكي آسفاً وقال لهُ يظهر ان السياسة رمت حجراً في سبيل الجندي حسب العادة . ثم غيَّر كنراد رأيهُ وذهب فاخبرهُ الجنرال بوليو ان ايطاليا مستعدة لتجدته بارسال اربع اورط او خمس من جيشها الى الحدود الفرنسوية الايطالية وغيرها الى جنوب المانيا فسرَّ كنراد بذلك ورجع من زيارته متهللاً. وسيأتي الكلام في الجزء التالي على تغيير الحال وكيفية نشوب الحرب ومنهُ يظهر مَن المسؤل عنها بالاكثر